المبحث الثالث

الأمنُ النَّفســـي

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[1] .

هاتان الآيتان من سورة طه تقرِّران بوضوح -كما سبق في التمهيد- أنَّ الأمن النفسي نصيبُ مَنِ التَزَمَ شريعة الله ، وأن الشقاء ونكد الحياة نصيب من أعرض عن هدي الله .

وينبغي أن نعيَ أنَّ قوله تعالى : ﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ لا تتجه إلى الجانب المادِّي مأكلاً ومشرباً وملبساً بالدَّرجة الأولى ، إذْ قد تتوفَّر هذه الأشياء كلُّها للشخص ويستمتع بها ولكنه في الوقت نفسه لا يجد للسعادة طعماً ، ولا للحياة هناءةً حتى يؤول به الأمر إلى الإدمان ، أو حتى الانتحار تخلُّصاً من هذه الحياة النكدة ، مخلِّفاً وراءه ألوان المتع الماديَّة[2] .

الأمن النفسي يتمثَّل في تجلِّيات عديدة لها أبعادٌ ظاهريَّةٌ وأبعادٌ داخليَّةٌ لا يوجد طعم الحياة ولا قيمتها إلا بتوافرها في الشخص ، كما في الكيان الاجتماعي بمختلف علاقاته وبنياته .

إنَّ الأمن النفسي يتمثَّل بـ:

- الشعور بالرضا والسَّكينة والطمأنينة التي تغمر الإنسان وجوَّ المجتمع كلّه .

---

(١) الآيتان رقم (١٢٣-١٢٤) من سورة طه .

(٢) انظر قصة : "« كرستينا أوناسيس" التي ورثتْ عن أبيها خمسة آلاف مليون ريال وأسطولاً بحريّاً وشركات طيران وجزراً بحريَّةً ، ولكنها عاشتْ تعيسة ثمَّ وُجدتْ ميِّتةً في أحد شاليهاتها . من كتاب : تجاربهم مع السعادة ، لعبد الله الجعيثن ، ص ١١١ ، الطبعة الأولى ،١٤١٣هـ، الرياض .

- وبالشعور الواثق بوضوح الطريق أمامه ، طريق العقيدة في مجال الفكر ، وطريق السُّلوك في مجال التعبد والأخلاق .
- وبوحدة الاتِّجاه نحو شريعة واحدة وإله واحد في ذات الشخص وفي حياة المجتمع دون توزُّعٍ مرهقٍ للنفس في المُتَوَجَّه إليه ، أو في التشريعات المفروضة عليها .
- وبإشباع النزعات الغريزيَّة في الإنسان ماديَّةً وروحيَّةً بميزان عدل لا إفراط فيه ولا تفريط .
- وبالنظرة التفاؤليَّة للمستقبل سواءٌ في نطاق هذه الحياة ، أو في الحياة الآخرة حيث الأمان مضمونٌ في كلا المستقبلين للمستقيم على شرع الله .
- وبالأمان المتبادل بينه وبين الآخرين من حوله ، ممن يدينون بدينه ويخضعون للشرع الذي يخضع له ويتَّحدون معه في الغاية ، ويشعرون إزاءه بحقوق متبادلة .
- وبالعلاقة الحميمة بكل من حوله وما حوله ؛ بالنظام الذي يحكمه ، والشعب الذي يعيش في وسطه ، والوطن الذي يتفيَّأ ظلاله ، والحكام الذين يسوسون أمره ، والعلماء الذين يوجِّهون فكره .
- وبالارتكاز على عنصر الثبات في التصوُّرات العقديَّة والأحكام الشَّرعيَّة ، التي يعتقد صاحبها يقيناً أنها الحقُّ الذي لن يأتيه باطلٌ من بين يديه ولا من خلفه .

. . . إلى آخر تجليات الأمن النفسي في حياة الفرد وفي حياة المجتمع .

هذه التجليات وأمثالها لا توجد بصورتها المتكاملة والعميقة إلا في ظلال شريعة الله حينما تهيمن على القلوب وتسود حياة الناس ، فتتجلَّى ثمار حملها أمناً وأماناً وارف الظِّلال .

ولقد حقَّق المجتمع السُّعودي في هذا العصر بعد توحُّده على يد الملك عبد العزيز - رحمه الله - صورةً عليا في تحقيق الأمن النفسي العام أصبحتْ مضرب المثل بالنسبة لما سبقها من حالة خوف وقلق ، وما يجري في كثيرٍ من المجتمعات المحيطة به من اضطرابٍ وفساد أحوالٍ .

إنَّ أجدادنا الأقربين الذين عاشوا قبل فترة الاستقرار السعودي في عهد الملك عبد العزيز يحدِّثون عن أمورٍ مهولة لا يتصوَّرها الإنسان إلا في غابة وحوش ، حالات سلبٍ ونهب، وصراعٍ حاضرة مع بادية ، أو قبيلة مع أخرى، وعدم الانصياع للسلطات المحلِّيَّة المستضعفة، واستباحة لكثيرٍ من المحرَّمات .

يعيش الناس أكثر الأيام على أعصابهم في حالة استنفار ؛ إذا كان وقت الزرع وضعوا أيديهم على قلوبهم خشيةً من اعتداء على ما بذلوا فيه عرقهم من زرعٍ ، وإذا كان وقت الرعي خافوا على أنعامهم من قطاع الطرق المسمَّين بـ(الحنشل) ، وإذا كانوا في سفرٍ توقَّعوا كل لحظة هجوم هؤلاء الصَّعاليك عليهم ، وإذا كانوا في بيوتهم ساورهم القلقُ نهاراً وليلاً من اعتداء على حرماتهم وأموالهم ، وهكذا تحيط بهم كآبة الحياة في غالب لحظاتهم التي يعيشونها في قلقٍ وخوف وترقُّب وجلٍ لمفاجآت قد تغيِّرُ مسار حياة الواحد منهم وتهدم صورة المستقبل التي رسمها لنفسه لمن يتجاوز به طموحه هذه العوائق ، وإلا فالغالب من الناس رضوخاً منهم لوطأة ذلك الواقع لا مجال لديهم لطموحاتٍ مستقبليَّةٍ لأشخاصهم فضلاً عن طموحاتٍ حضاريَّةٍ لمجتمعاتهم وأمتهم .

ولهذا كان من الجوانب العبقريَّة في شخصيَّة الملك عبد العزيز رحمه الله، وهو الذي عاش مثل أجدادنا هذا اللَّون من الحياة ، بل عانى ما هو أسوأ منه ، وهو يرى ملك أجداده يتهاوى وأسرته تضيق بها نجد التي حكموها والخليج الذي أووا إليه -كان من جوانب عبقريَّته- ذلك الطموح الأشمّ الذي فزع به من

الكويت ليقوم بحركة تاريخيَّة نادرة المثال، من مبادئها : تحقيق الأمن الشامل ومطاردة الهلع والاضطراب والفتنة المكدِّرة للحياة الإنسانيَّة في هذا المجتمع ، معتمداً على الوسيلة الناجعة لتحقيق هذه الغاية ، وهي تطبيق شريعة الله في المجتمع ، وردّ الناس كلهم نحو منهج الله ليعمر قلوبهم فترشد نفوسهم فتهتدي ، وحركتهم فتنضبط ، على منطق العدل والحقِّ في الأخذ والعطاء انضباطاً ذاتيّاً مصدر إلزامه الإيمان بالله واليوم الآخر، أو ضبطاً خارجيّاً تفرضه الدَّولة على من ضعف مصدر الإلزام الداخلي لديه .

ولا بدَّ أن أؤكِّد هنا أنَّ الأمن النفسي والاجتماعي الذي تحقق للمجتمع السعودي بعد توحيد الملك عبد العزيز للمملكة بسبب تطبيق الشريعة الإسلاميَّة لا يرتدُّ إلى تطبيق حدود الله على المجرمين وحده، وإن كان جزءاً مهمّاً من الشريعة ومن قوى الرَّدع لنزعات الشرِّ في البشر، ولكنه يعود إلى صبغ حياة المجتمع كلها بصبغة الله، ببناء التعليم على تربية قلب الناشئ على الخوف من الله واليوم الآخر والالتزام بالدين ، وبإيقاظ الحسِّ الإيماني في المجتمع كلّه تجاه الخروج على الشريعة حيث يمارس المجتمع كله ضغطاً اجتماعيّاً على من تسوِّل له نفسه اختراق السياج الأمني الذي أشاده ، وبالتذكير المتواصل بالدين وجوانب الشريعة ومقتضيات النظرة الإنسانيَّة التي ينبغي أن تكون حاضرةً في وعي كلِّ فرد أياً كان عمره وموقعه الاجتماعي، من قبل العلماء والدُّعاة وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبالنظام القضائي الذي يعي أحكامه العامة سائر الناس بحكم أنهم يقرؤونه في القرآن والسُّنة .

بهذه القنوات وأمثالها بُني المجتمع على أساس مكين من الدِّين والفضيلة ، وأقيمت الحواجز أمام زواحف الضلال والجريمة التي تريد النفاذ إليه .

ولهذا حينما انفتح المجتمع السعودي على المجتمعات الأخرى فكثرت من جهة العمالة التي لم يستمد أغلب أفرادها من تلك القنوات ، وانفتحتْ من جهة أخرى قنوات تأثير على الناس تشغب على القنوات السَّابقة برزتْ ظواهر من الاختراقات الأمنيَّةً التي لم تكن موجودةً من قبل بهذه الصُّورة ، وإن لم تهز الأمن النفسي للمجتمع ، لكنها ندوبات في جداره .

إنَّ حالة الأمن التي رسخها الملك عبد العزيز في المملكة ظلَّتْ مثار إعجاب المستقرئين والزائرين للمملكة من المسلمين وغيرهم الذين يقارنون بين هذه الحالة لدى دولة في بدايات تشكُّلها ، وفي مجتمع إلى البداوة أقرب ، وحالة أوربا وأمريكا التي استقرَّتْ فيها الدول ونظمها منذ عقود طويلة ، فيجدون « أنه ليصعب علينا -كما يقول " جير الددي غوري " - أن نتخيَّل تبدُّلاً جذريّاً يتحقَّق في مثل هذا الوقت القصير . . . فالأمن في العربيَّة السعوديَّة مدهشٌ ، وهو أكثر شمولاً منه في أيِّ بلدٍ أوربّي »[1] .

ويتساءل " جون فانيس " : « لو أرسلت مالاً في سيارة غير مسلَّحة ألف ميلٍ في الولايات المتحدة فكم هي المسافة التي تظنُّ أنَّ السائق والسيارة يجتازانها ، أما في الجزيرة العربيَّة فيقطعان المسافة كلها في أمنٍ تامٍ ، ومن دون أيِّ معارضة من أيِّ شخصٍ »[2] .

وفي دراسة الدكتور " حسن السَّاعاتي " **لأسلوب الملك عبد العزيز تجاه قضيَّة الأمن** التي مرَّتْ كما يرى في مراحل ثلاث سمَّاها :

- مرحلة التكامل .

---

(١) موعد مع الشجاعة ، قدري قلعه جي ، ص ٢٧٠ ، دار الكتاب العربي ، ١٣٩١هـ .

(٢) ملاقاة الغربي جون فانيس ، من : الملك عبد العزيز ، رؤية عالميَّة ، ص ٢٧١ .

- ثم مرحلة التأقلم .
- ثم مرحلة التجديد .

يفصِّل منهج الملك عبد العزيز في هذه المراحل الثلاث فيقول :

« لقد كان التكامل الأمني الذي ألهم الملك عبد العزيز بفكرته ، وبذل لإنجاحه الكثير من جهده وصحَّته وراحته ، يقوم على أساس توطين أعداد كبيرة من بدو القبائل الرُّحَّل ، في حللٍ وقرًى صغيرة تقام بجوار العيون والآبارً بجهودهم الذاتيَّة ، وبما أخذ الملك يمدهم به -وفقً خطة متكاملة- من مال لشراء حاجاتهم وبذور يزرعونها وأدوات يفلحون بها الأرض التيً أصبحواً يرتبطون بها ، ويعيشونً على جني ثمارهاً ، فاستقروا وشغلهم العمل المنتج وعبادة الله في المساجد التي أقاموها عن الغزو وما فيه من عدوان وقتل ونهب وسلب ، ورأى أن يعلي فيهم نزعاتهم العدوانيَّة، بأن يستبدل بهًا الجهًاد ضدَّ الخارجًين على شريعة الإسلام العصاة المتمرِّدين على كل نظام ، تلك كانت تجربة الهجر التي انتشرتْ في اثنتين وسبعين قريةً ومحلَّةً ، واستطاع أن يجنِّد من سُكَّانها جند التوحيد ، حيث وحَّد بهم البلاد ، ثم جعل منهم ومن غيرهم من أهل الحضر ، جنداً نظامياً مدرباً .

وفي المرحلة الثانية التي كان فيها ملكاً على كامل نجد حيث البداوة متأصلةٌ ، والحجاز حيث الحضارة غالبةٌ ، رأى أن يترك نظام الأمن في كلٍّ منهما ينمو وفق النظم السَّائدة وبالخطى التي يتقدَّم بها النمو الذي رعاه ولده سعود في نجد ، وولده فيصل في الحجاز ، تحت إشرافه الأعلى وبتوجيهاته السامية الحكيمة ، وهكذا تمكن من نشر الأمن في ربوع نجد والحجاز، وأصبح أهلها والمسلمون الوافدون للحج ينعمون بالأمن والطمأنينة ؛ تلك كانت المرحلة الانتقاليَّة ، التي تأقلم فيها الأمن وفق بيئة نجد والحجاز وظروف الحياة في كلّ منهما .

أمَّا المرحلة الثالثة فكانت مرحلةً تجديديَّةً ، نظم الملك عبد العزيز فيها الأمن في جميع البلاد بعد توحيدها في المملكة العربيَّة السعوديَّة وفق مقتضيات الحكم والإدارة والتنظيم الأمني في العصر الحديث ، مقتبساً من ذلك ما ينفع رعيَّته في حدود الاعتدال ، ووفق ما يتمشَّى مع أسلوب حياتهم ، التي نعموا فيها بالاستقرار تحت رعايته ، فقد كان رائده نشر كلمة التوحيد ، والحكم بشريعة الإسلام ، فاستطاع أن يجعل الحياة في شبه الجزيرة العربيَّة آمنةً مطمئنَّةً »[1] .

ولقد كان من فضل الله على المجتمع السُّعودي وعلى الملك عبد العزيز بالذات أنَّ هذا الأمن اللافت لأنظار وعقول الآخرين منبثقٌ من تحكيم الشريعة الإسلاميَّة ، وأن المملكة تؤكِّدُ ذلك بحالها وبلسان مسؤوليها ، مما جعل الارتباط بين الأمن ونجاح الحياة وبين شريعة الإسلام بصفة أنَّ الأول نتاجٌ للثاني مبدأ حقٌّ يعترف به حتى غير المسلمين ، من الذين ينطلقون من النظر في الواقع إلى الأسس النظريّة التي قام عليها هذا الواقعُ ، وقد شهد بذلك كثيرٌ من المستشرقين نسوق شهادة أحدهم وهو « موريس جارنو » حيث يقول :

« إذا كان ابن سعود قد نجح في لَمِّ شعث الجزيرة العربيَّة تحت لوائه ، وإذا كان قد جعل من بلد مضطربٍ آهلٍ بالعصابات البلد الأكثر أمناً في العالم ، فمردُّ ذلك ليس للقوَّة والسيف فحسب ، بل لأنه سكب في أعماق الأمة الناشئة أقوى عوامل التراص والتماسك ، أي التقيُّد الشديد بأحكام القرآن ، فالجرائم التي ترتكب حالياً في السعوديَّة خلال عامٍ كاملٍ أقلُّ مما يرتكب في باريس خلال يومٍ واحدٍ . ويعود السبب في ذلك إلى أن الحياة كلها تسير بأحكام

---

(١) سياسة الملك عبد العزيز لحفظ الأمن في المملكة ، حسن الساعاتي ، بحث مقدم لمؤتمر الملك عبد العزيز – نقلاً عن الملك عبد العزيز – رؤيةٌ عالميَّة ، ص ٢٨٥-٢٨٧ .

القرآن، والقرآن مجموعة شرائع تحسبتْ لكل شيءٍ »[1].

والحق أنه توفَّرت للمجتمع السعودي بعد توحيده واستقرار الحكم فيه للملك عبد العزيز كل دعائم الأمن النفسي والاجتماعي المرتكزة على هدي الإسلام المستقيم، وهو المرتكز الرَّاسخ الذي لا يلين ، وهاهي إشاراتٌ مقتضبةٌ في هذا الموضوع :

* حينما خلق الله النفس البشريَّة وسوَّاها وألهمها تعالى فجورها وتقواها فصارتْ بفطرتها مجالاً لصراعٍ محتدمٍ بين دوافع الخير ونزعات الشرِّ ، تميل به الأولى أحياناً ، وتغلبه الثانية أحياناً أخرى ، وإن كان الغالب الأعم في البشريَّة غلبة نزعات الشرِّ عليها .

﴿ **وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ** ﴾[2] .

﴿ **وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾[3] .

والإنسان يستطيع أن يظلَّ بمعزلٍ عن مقارفة الآثام ما دامت حالته النفسيَّة في وضعٍ متوازنٍ ، هذا التوازن يتحقق في صورتين :

١- أن تكون دوافع الخير غالبةً تسيطر فتتقهقر أمامها عوامل الشَّرِّ .

٢- أن تكون هناك عوامل مناهضةٌ لنزعات الشرِّ فيه لا تقلُّ في تأثيرها على عقله ووجدانه عن تأثير ما يضادها .

والشريعة الإسلاميَّة بتعاليمها المتنوِّعة تحقِّق هذا التوازن ، ومن أبرز صورها **تشريع الحدود على الجرائم الكبرى** .

---

(١) موعد مع الشجاعة ، ص ٢٧١ ، مصدر سابق .

(٢) الآية رقم (١٠٣) من سورة يوسف .

(٣) الآية رقم (١١٦) من سورة الأنعام .

« ومهمَّة الحدود -بما تنطوي عليه من عنصر عقابيٍّ زاجر- أن تحقق في نفس الفرد العادي هذا التوازن بحيث يتمكَّن من السَّيطرة على دوافعه .

هذه السَّيطرة النفسيَّة نتيجة لتوازن العوامل المتفاعلة داخل النفس ، وما يترتَّب عليها إقداماً وإحجاماً يتيح لصاحبها أن يؤثر الإحجام عن الشرِّ ، مستجيباً لنداء العقل الذي يوازن بين ما تنطوي عليه الجناية من لذَة وما ينطوي عليه الحدُّ من إيلامٍ بدنيٍّ ونفسيٍّ يتكافأ معها إن لم يزد عليه .

إنَّ من طبيعة النفس الإنسانيَّة أن تتحرَّك تحت عاملين متضادَّين : عامل الرغبة وعامل الرهبة ، وكلاهما يؤثِّر على النفس إيجاباً أو سلباً من ناحيتين مختلفتين :

عامل الرغبة : يدفع إلى الإقدام على الشيء المرغوب فيه ، وهو هنا إيجابيُّ الأثر ، ولكنه حينما يوجّه إلى شيءٍ آخر ليصرف النفس عن هذا الذي هو موضع ميله واشتهائها ، يصبح مانعاً من الإقدام عليه ، وهو هنا سلبيُّ الأثر ، كما يحدث في حالة من يهمُّ بالزنا أو شرب الخمر ، فيتماثل له ما أعدَّ الله للمتقين فينشط الوازع النفسي فيه حتى يكف عما كان متَّجهاً إليه .

وعامل الرهبة : يؤدِّي إلى النتيجة عينها من طريق آخر ، فالخوف من العقاب المرتَّب على القتل أو الزنا أو القذف أو شرب الخمر متى أيقن المرء بأنه ملاقيه لا محالة ، كان مانعاً قويّاً من مقاربة هذه الآثام ، ذلك أن موازنةً عقليَّةً بسيطةً بين ما ينال من لذَّة الجناية وما يصيبه من عقابٍ بالحدِّ عليها تصرفه صرفاً عن قربانها » .

وهذا أمر مشاهد يجده الإنسان فيمن حوله حينما تحيط بهم المغريات التي تجذبهم لمواقعتها ، فيقوم هذان العاملان بمصارعة هذا الإغراء ومقاومة انجذاب الشخص إلى ما حرَّم الله .

وخلاصة القول في هذا التحليل للأساس النفسي الذي بُني عليه نظام الحدود في الإسلام أنه -كما يقول صاحب النص السابق محمد حسين الذهبي - « يتجلَّى لنا أن الحدود تمثل في البناء النفسي للفرد في المجتمع المسلم عنصراً رئيساً من عناصر التوازن النفسي يجعله -بوجه عام- بعيداً عن حمى الله ومحارمه الكبرى في الأرض لا يقربها ولا يحوم حولها .

وبهذا التوازن النفسي الذي تتيحه الحدود حينما تصبح -بالتربية- جزءاً من النسيج النفسي للفرد المسلم ، بهذا التوازن تصبح الغالبيَّة العظمى من أفراد المجتمع أسوياء لا شذوذ في تكوينهم، ولا انحراف في ميولهم واتجاهاتهم يسهِّل عليهم ارتكاب شيء ما يجعلهم تحت طائلة هذه الحدود »[1] .

والمعاشر لطوائف العمَّال الوافدين إلى المملكة من مجتمعات تجمع بين ضعف الأثر الدّيني في نفوس أفرادها ، وبين تفاهة العقوبات على مقارفي الإجرام ، بل سهولة التفلُّت من العقاب أصلاً ، يدرك فاعليَّة تطبيق الشريعة في تحقيق قدر كبير من التوازن النفسي لدى هؤلاء ، وكيف أن هذا التوازن يتعمَّق أكثر فأكثر كلما طالتْ إقامة هذا الوافد .

* من دعائم الأمن النفسي أيضاً : الثقة بشرع الله من قبل أفراد المجتمع ، وأنه الحق والعدل دنياً وآخرةً ، فهو يُقبل على تعاليمه ويحتكم إلى قضائه راضي النفس مرتاح الضمير لكلِّ نتائجه حكماً له أو عليه ، وهذا خلاف القانون الوضعي المطبَّق في المجتمع المسلم ، فقد يحكم من خلاله للشخص فيأخذه بدافع الشهوة والطمع ولكنه يظل يؤرِّقه ؛ لأنه يعلم أنه ظلمٌ وباطلٌ سَيَبُوءُ بإثمه أمام الله غداً إن لم يعاجله بعقاب دنيويٍّ قاصمٍ .

---

(١) أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع ، ص ٩٢-٩٨ ، مصدر سابق .

وإذا كـان الأصل في القـانون بل في النظام كلّه أنه أداةٌ تعـبِّـر عن إرادة الشعب في ضبط حركة الناس على المنهج السَّليم دينيّاً واجتماعيّاً ، فإنه لا يتحقق في أي مجتمعٍ مسلمٍ إلا إذا كانت الشريعة هي التي تحكم المجتمع ، ومنها ينبثق نظامه ، فهنا يتفقٌ مع نفسيَّة الشعب الذي يخضع له ويتحاكم إليه فتشعر معه بالأمان والسَّلام وله بالولاء الصَّادق .

أمَّا إذا فُرضَ على هذا المجتمع المسلم قانونٌ ونظامٌ غريبٌ على شريعته وتراثه ، فإنه يحدث بينه وبين نفسيَّة أفراد هذا المجتمع تنافرٌ ، حيث يشعرون بغربة هذا النظام عنهم ومن ثمَّ وحشتهم منه ، بل يشعرون -وهو شعورٌ صادقٌ- أنه سوطٌ مفروضٌ عليهم للعقاب يلهب ظهورهم، إذ هم مُلْجَؤون للتعامل معه والخضوع له ، ولمداراته أحياناً وإن كانوا في دواخل نفوسهم يقبحونه ويتبرَّؤون منه ويستهجنون كل ما تضفيه وسائل الإعلام عليه من تزيين وتزويق لتقبله هذه النفوس ، فهي في صراعٍ مرير بين دينها الراسخ في أعماقها وبين هذا القانون والنظام المسلَّط عليها ، خلافاً للنفس المسلمة في المجتمع الذي يحتكم لشريعة الله ، حيث السَّلام يغمرها دافعاً إيَّاها نحو العمل برضا وسعادة وتفاؤل .

* والأمر هنا ليس محصوراً بتلك التشريعات التي تختلف فيها القوانين عن الشريعة جذريّاً كالحدود مثلاً، إنه عامٌ في صور التنظيمات والتعاميم والمطالب التي قد تتشابه في تطبيقاتها لكنها في المجتمع الذي يحكم بالشريعة تقوم على أساسات منطقيَّة وإيمانيَّة موجودٍ في نفس الفرد، مما يعني الارتياح لفعلها واليقين بنتائجها وعدمٍ الأزمةٍ معها .

* وهناك عنصر الثبات في التشريع الإسلامي خلافاً للتقلُّبات

والتراجعات التي هي سمة النظم غير الإسلاميَّة ، سواءٌ كانتْ تغييرات في التشريع نفسه كما في الاشتراكيَّة وغيرها ، أو في التحوُّلات السِّياسيَّة التي تتبعها تحوُّلاتٌ نظاميَّةٌ في التعليم والقضاء وغيرها .

إنَّ هذا العنصر يجعل المسلم في المجتمع المحتكم لشريعة الله مستقرَّ النفس لا مضطرب الحال بين نظمٍ متضاربةٍ ، ويجعله واثق الوجهة فيما يمارس ديناً يدين به وشرعاً يحتكم إليه .

* أيضاً ، فإنَّ من عوامل الأمن النفسي التي يحقِّقها تطبيق شريعة الله أنَّ هذه الشريعة بما تغرسه من عقيدة وقيم ، وما ترسمه من تشريعات علائقيَّة **تحقِّق التوافق بين أفراد المجتمع** على مبادئ عباديَّة وأخلاقيَّة واجتماعيَّة واحدة ، تضمن التقارب والألفة والتناسب بينهم في المواقف والهموم والتطلُّعات ووحدة المسيرة ، والأخوة الاجتماعية الإعانية التي تجمعهم على مطالب هذه الشَّريعة ، فتكون هذه الأخوة الوطنيَّة عامل ربط بينهم ، وإذكاء لروح الالتفاف على هذه الشريعة ، كما تكون الشريعة نفسها عامل تحريض على الولاء للوطن وحبِّه وحمايته من كل غزو يستهدف الإساءة إليه ، أو تفكيك وحدته ، أو توهين مسيرته في ظلال هذه الشَّريعة .

* وبعد هذا كلّه فأيُّ أمنٍ نفسيٍّ أعظم من أمن ذلك الشخص الذي أغواه الشيطان فارتكب جريمةً ينتظر عقابها !

إنَّ غير المسلم في ظلِّ قانون وضعه البشر يشعر هنا بالكآبة والأسى على أنه لم يفلت من طائلة القانون ، ويشعر بالقلق والألم النفسي ؛ لأنَّ متعته لم تتم بما قارفه ، بل انقلبتْ عليه عذاباً وعقاباً .

أمَّا المسلم الذي سقط بارتكابه هذه الجريمة فإنه يشعر بالأمن النفسي

وراحة الضمير وهو يستقبل العقاب الدُّنيوي، لأنه يعلم أنه لن يفلت من عقاب يوم القيامة إذا لم يقتصَّ منه في الدُّنيا ، فإن صاحبه الذي ظلمه سوف يلاحقه ليحاكمه أمام الله .

أمَّا إذا اقتصَّ منه في الدنيا فإنه يكون قد تطهَّر من هذا الذَّنب ، وعاد نقيّاً يمارس حياته دون تلك الوصمة الشائنة ، أو يواجه ربَّه وقد تطهَّر منها ، حيث كفرت عنه العقوبة إثم الخطيئة ؛ روى البخاري - رحمه الله - في حديث المبايعة ، عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ كان يبايعهم « على ألا يشركوا بالله شيئاً ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ، ولا يعصونه في معروف » ثم قال بعد ذلك نبيُّ الله صلوات الله وسلامه عليه : « فمن وَفَّى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فأخذ به في الدنيا فهو كفَّارةٌ وطهورٌ ، ومن ستره الله فذلك إلى الله إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له »[1] .

وإذا كان الأمن النفسي ضرورة وجود للمجتمع ثم ضرورةً لنهضته وأداء دوره الإنساني فإن المجتمع السعودي بما هو حضن الحرمين الشريفين وبما للعمق الديني الغائر فيه كان قبل أن يوحِّده الملك عبد العزيز -كما يقول خادم الحرمين الشريفين في كلمة له - : « يتلهَّف -أي الوطن- للوحدة ، ويعيشها بوجدانه وآماله وأحاسيسه بعد أن رأى في وقت من الأوقات أنَّ شمله كان يتفرَّق، وصفوفه تتمزَّق، وأمنه يتزعزع، وحياته قد حفت بالخوف والاضطراب، فتأكد له أنَّ الوحدة قد أصبحتْ ضرورةً قصوى لوجوده ، كما تأكد له أنَّ الأمن والاستقرار أساسٌ في استمراره وعزَّته »[2] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ٨/ ١٩١ .

(٢) كلماتٌ منتقاةٌ، ص ١٥٦ .

وقد ساعد هذا الاستعداد الملك عبد العزيز – رحمه الله – على تحقيق جمع الشَّمل وإشاعة الأمن والسَّلام في ربوع هذا الوطن المترامي الأطراف المتعدِّد الأقاليم .

obeikan.com